الدرر المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مجلة الدرر المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدرر المقدسية | العدد (54) - أب / أغسطس 2026م

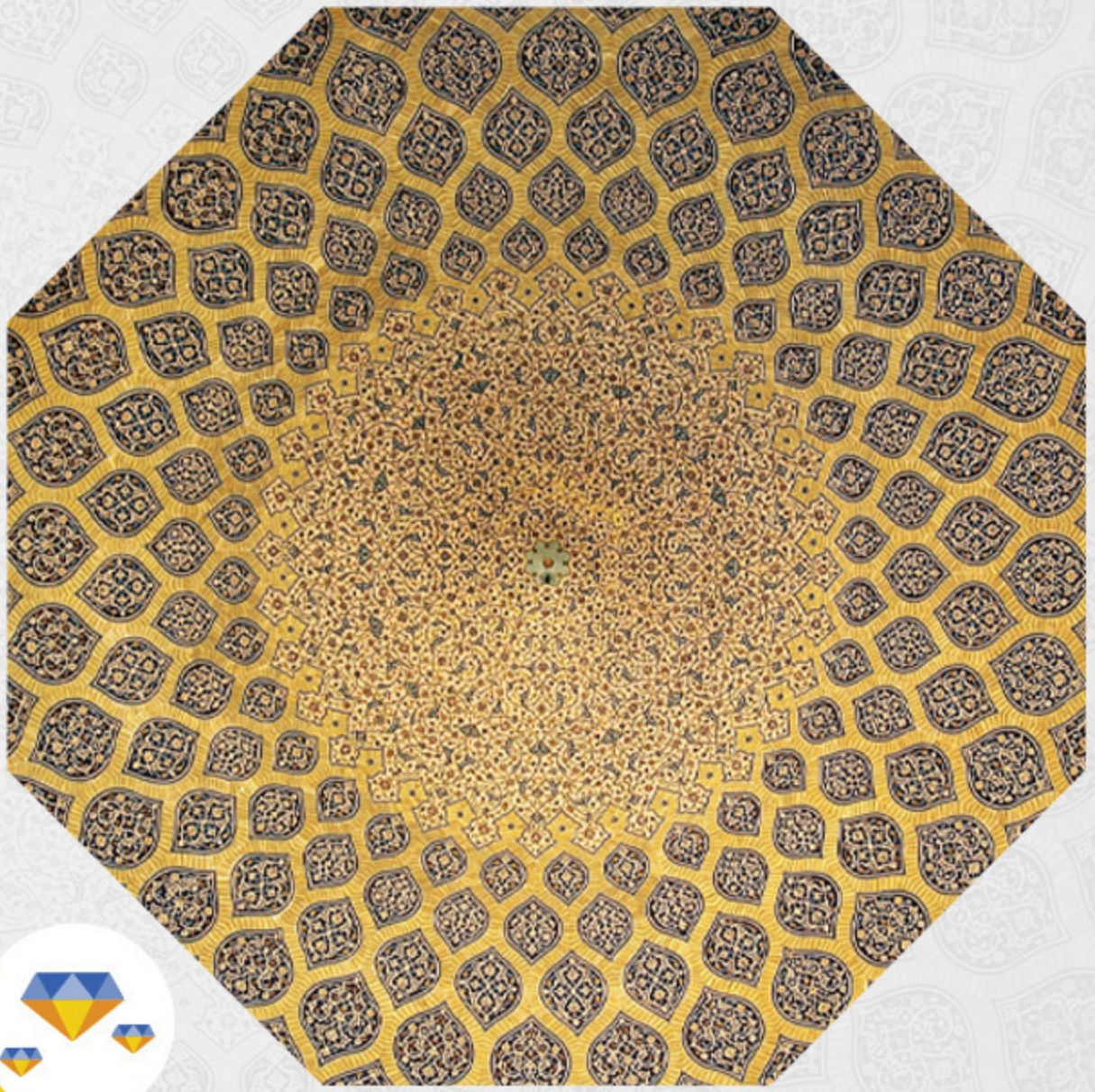

إغلاق الحرم الإبراهيمي
حين يمنع الأذان وتبقى الروح حية
أ. معتز أبو سنينة

القاديانية (الأحمدية) بين الانتساب
إلى الإسلام ومخالفة أصوله
د. حسين جاموس

كيف نصنع طالبَ علمٍ شرعيٍّ
واعياً بزمانه؟
د. أيمن جويلس

بعد الثانوية العامة
مفترق اختيار التخصص الجامعي
د. أنس المصري

دراسة الشريعة
بين العبادة والمسؤولية
د. موسى الشيخ درة

الفهرس

الفهـــــرس.....01

الافتتاحيـــة 02

إغلاق الحرم الإبراهيمي... حين يمنع الأذان وتبقى الروح حية، أ. معتز أبو سنينة..03

القاديانية (الأحمدية)؛ بين الانتساب إلى الإسلام ومخالفة أصوله، د. حسين جاموس.04

كيف نصنع طالبَ علمٍ شرعيٍّ واعياً بزمانه؟، د. أيمن جويلس.....06

بعد الثانوية العامة.. مفترق اختيار التخصص الجامعي، د. أنس زاهر المصري.....08

دراسة الشريعة بين العبادة والمسؤولية، د. موسى الشيخ درة.....09

طالب الشريعة وسوق العمل ما بين التحديات والفرص، أ. ساجدة برغوثي 11

وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً، د. سارة النتشة.....13

قصيدة بعنوان (لن يشتري منا البقية)، د. رائد عبد الرحيم.....15

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

قُرّاءنا الأعزاء... رُوّاد الكلمة الطيبة، وحمَلة الفكر الإسلامي الأصيل،،،، نرحب بكم في لقاءٍ يتجدد مع مطلع كل شهر ميلادي؛ لقاءٍ نرجو أن يكون نافذةً نطلّ منها على العقول لنغرس فيها معرفة، وعلى القلوب لينمو فيها إيمان ثابت، وننشر على أرواحكم هداية تفوح منها نسائم الرحمة والجنة. نلتقي اليوم لنفتح صفحات عددٍ جديد من مجلة "الدرر المقدسية"، وكلنا إيمان بأن الكلمة الصادقة ليست حبرًا يُسطّر، وإنما رسالةٌ تُبْلَغ، وأمانةٌ تُؤدَّى، ونورٌ يبدد ظلمات الجهل والفتنة. لذا، ما أجمل ما قاله الله تعالى في وصف هذه الرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70]، فالكلمة السديدة هي أول لبنةٍ في بناء الفرد، وأساس نهضة المجتمع، وسلاح الأمة في مواجهة الانحراف والضلال.

قرّاءنا الكرام، جاء هذا العدد حافلاً بمواضيع وقضايا تمس عقيدة الأمة ومستقبلها ووعي أبنائها؛ فنكشف حقيقة القاديانية بوصفها إحدى الفرق المنحرفة التي سعت إلى زعزعة ثوابت الإسلام والطعن في خاتمية النبوة، ذلك أن العقيدة الصحيحة هي حصن الأمة الأول ودرعها المتين. كما كان لنا وقفة مع دراسة الشريعة الإسلامية وما تواجهه من تحديات فكرية وثقافية، لأن الأمة التي تُخرّج علماءها وتحفظ علوم دينها، هي أمة تحفظ هويتها ورسالتها، ويكفي طالب العلم شرفًا قول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

وخرجنا إلى العموم في اختيار التخصص الجامعي بعد الثانوية العامة، لما له من أهمية في صياغة مستقبل الشباب وتأسيس مسيرة العطاء؛ فنجاح الإنسان يبدأ من حسن الاختيار، ومن معرفة رسالته في الحياة، لا من مجاراة رغبات الآخرين أو الانسياق وراء الألقاب.

ولأن فلسطين كانت وستبقى في قلب كل مسلم، فإن العدد يقف عند إغلاق الحرم الإبراهيمي، ذلك العدوان المتكرر على أحد أقدس مساجد المسلمين، في مشهدٍ يذكّر الأمة وأبناءها أن معركة الأمة ليست على الأرض وحدها، بل على الهوية والتاريخ والحق. وستظل مقدساتنا عنوان عزتنا ومحل إجماعنا، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ويكتمل عقد هذا العدد بقصيدة شعرية تُحلّق في سماء المعاني فتلامس الوجدان. ونجدد عهدنا معكم في مطلع كل شهر، إيماناً منا بأن الوعي لا يقل أهمية عن أي معارك تُدار على الأرض، ولذلك ستظل رسالتنا الكلمة المسؤولة، والفكرة الرشيدة، والموقف الصادق، دستورنا في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105].

إغلاق الحرم الإبراهيمي
حين يمنع الأذان وتبقى الروح حيـــة

أ. معتز حفظي ياسين أبو سنينة
مدير الحرم الإبراهيمي الشريف

ليس الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل مجرد مسجد تؤدى فيه الصلوات، بل هو شاهد على تاريخ عريق، ورمز للهوية الإسلامية والحضارية في فلسطين. ومنذ أن تشرف باحتضان قبر خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، ظل محجا للمصلين والعلماء والزوار، ومنارة يصدح منها الأذان خمس مرات في اليوم، معلنا حضور الإسلام وعمران المكان بذكر الله.

إلا أن سياسات الاحتلال الإسرائيلي سعت، على مدى عقود، إلى فرض واقع جديد على الحرم الإبراهيمي، من خلال الإغلاقات المتكررة، وتقييد وصول المصلين، ومنع رفع الأذان، وفرض إجراءات تمس بهوية المكان وقدسيته.

ولعل أخطر محطات هذا التاريخ كانت مجزرة الحرم الإبراهيمي في فجر يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شباط عام ١٩٩٤، حين ارتقى تسعة وعشرون مصليا شهيدا، وجرح العشرات أثناء أدائهم صلاة الفجر في شهر رمضان المبارك. وبدلا من أن يكون الجاني هو من يدفع الثمن، فرضت على المسجد وعلى المسلمين عقوبات قاسية، فأغلق الحرم الإبراهيمي أمام المسلمين لعدة أشهر، ثم أعقب ذلك فرض التقسيم الزماني والمكاني للحرم، في سابقة خطيرة مست وحدة المسجد وحرمته.

ومنذ ذلك الحين، أصبح المصلون يعانون من قيود مستمرة، وتحول الحرم إلى مكان تفرض عليه إجراءات لا تنسجم مع حرية العبادة ولا مع قداسة الأماكن المقدسة. وما زال التقسيم الزماني والمكاني يشكل واحدا من أبرز آثار تلك المجزرة، وأحد أخطر التحديات التي يواجهها الحرم الإبراهيمي حتى اليوم.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يمتد إلى منع رفع الأذان بشكل منتظم. فالاحتلال يمنـــع رفع أذان صـــلاة يوميا، ويمنع أذان الفجر والظهر والعصر والمغرب كل يوم سبت، كما يمنع أذاني المغرب والعشاء كل يوم جمعة. والأذان ليس مجرد نداء للصلاة، بل هو أحد أبرز شعائر الإسلام، وعنوان حياة المسجد، وإسكاته يمثل انتهاكا صريحا لحرية العبادة وحق المسلمين في ممارسة شعائرهم.

وإلى جانب ذلك، يغلق الحرم الإبراهيمي إغلاقا كاملا أمام المسلمين عشرة أيام من كل عام، بحجة الأعياد اليهودية، فيحرم المصلون من الدخول إليه وإقامة الصلوات فيه، في وقت يفتح فيه الحرم بالكامل أمام المستوطنين. وهو إجراء لا نظير له في أي مسجد إسلامي آخر، ويجسد حجم المعاناة التي يعيشها هذا المعلم التاريخي.

وعلى الرغم من كل هذه السياسات، لم يفقد الحرم الإبراهيمي روحه. فما إن تفتح أبوابه حتى يعود إليه المصلون، وتمتلئ أروقته بتلاوة القرآن، وتعود حلقات العلم والذكر، ليؤكد أهل الخليل أن علاقتهم بحرم خليل الرحمن ليست علاقة زمان أو مكان، بل هي عقيدة وانتماء ورباط لا ينقطع.

إن الحرم الإبراهيمي اليوم ليس بحاجة إلى التضامن العاطفي فحسب، بل إلى موقف دولي جاد يضع حدا للانتهاكات المستمرة، ويكفل حق المسلمين في الوصول إليه وإعماره بالصلاة والذكر. فقد تغلق الأبواب، وقد يمنع الأذان، ولكن الروح التي تسكن هذا المكان المبارك لا تغلق، والإيمان الذي يربط المسلمين بحرم خليل الرحمن يبقى أقوى من كل الحواجز والإجراءات، فالحرم الإبراهيمي سيبقى مسجدا إسلاميا خالصا، ومعلما شاهدا على صمود أهله، وسيبقى صوت الأذان، وإن غاب عن المآذن قسرا، حاضرا في قلوب المؤمنين، لأن الروح التي عمرت هذا المكان منذ قرون لن تموت

القاديانيــة (الأحمديــة)
بين الانتساب إلى الإسلام ومخالفة أصوله

د. حسين محمد جاموس
أستاذ العقيدة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحابته الغر الميامين، وبعد؛ فإن من تمام الخير للمسلم أن لا تلتبس عقيدته، أو يعتقد بأي من الأفكار المخالفة لأصول الدين الصحيحة التي جاءنا بها من لا ينطق عن الهوى -عليه الصلاة والسلام- عن رب العالمين، ولزم لذلك أن يتصدى أهل العلم لكل فكر يخالف هذه الأصول أو يشوهها في نظر العامة. وكان من جملة هذه الأفكار ما جاءت به فرقة القاديانية، أو ما يسمى بالأحمدية، والتي نشأت في القارة الهندية بإيعاز من الاستعمار البريطاني؛ لتحويل المسلمين عن قبلتهم وكعبتهم، وحصرهم في الأوطان التي يسكنونها والبلدان التي يعيشون فيها؛ لتفتيت وحدتهم، وقطع تواصلهم مع أمة الإسلام، ثم رُبيت تحت كنف أعداء الإسلام والمسلمين، وأمدوها بكل الوسائل المادية وغير المادية لتنتشر وتتمكن([1]).

التعريف بالمؤسس القادياني ونبذة عن حياته: ولد الميرزا غلام أحمد بن مرتضى القادياني في (13 فبراير 1835م)، في قرية قاديان بمنطقة البنجاب في الهند، لعائلة معروفة، اختلفوا في نسبها فقيل إنها تنتمي للسلالة المغولية وتنتسب إلى قبيلة (برلاس)([2])، وقيل إنها من أصل فارسي، وكانت عائلته تسكن مدينة سمرقند، ثم هاجرت إلى قاديان -مدينة في البنجاب من بلاد الهند- واستوطنت فيها، وكان جده الكبير (الميرزا كل محمد) صاحب قرى وأملاك وصاحب إمارة في البنجاب، إلا أن ابنه (الميرزا عطا محمد) خسر الكثير من تلك القرى والأملاك ولم يبقَ له سلطان إلا على خمس قرى بعد أن خسر ذلك التراث الكبير([3]). وهناك نشأ غلام أحمد في بيئة دينية، وتعلم الفارسية والعربية إلى جانب الأوردية، وتلقى دروساً في المنطق والحكمة والطب القديم القديم والمطالعة([4])، ودرس العلوم الإسلامية والتفسير، مما ساعده لاحقاً في صياغة أفكاره الدينية([5])، حيث وُلد في فترة الاستعمار البريطاني، وأسس حركة دينية تُعرف بالقاديانية ويطلق عليها أيضاً (الحركة الأحمدية) وكان ذلك في سنة 1889م، التي بدأت كحركة إصلاحية حيث ادعى أنه مجدد الإسلام الذي يظهر على رأس كل قرن، ثم زعم أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى أنه المسيح الموعود الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ادعاءات قوبلت برفض واسع من علماء المسلمين منذ أطلقها ذلك الدعي وإلى اليوم([6]).

مبادئ القاديانـي: يزعم القاديانيون أنهم مسلمون، وأنهم يؤمنون بالقرآن وأنه كتاب سماوي، ويعتقدون بأركان الإيمان التي نص عليها الإسلام وبالبعث والحساب، ويقولون إنهم يدينون بأركان الإسلام كلها، وبأن من غيّر شيئاً فيها فقد خرج من الدين، ومع ذلك وفي تناقض واضح فإنهم يعتقدون بأن (ميرزا غلام أحمد) مبعوث من الله سبحانه وتعالى، وأنه المسيح الموعود الذي بُعث ليضع الحروب الدينية، مديناً ومستنكراً سفك الدماء، معيداً أسس الأخلاق والعدالة والسلام إلى العالم، ويؤمنون بأنه جاء ليخلص الإسلام من الأفكار والممارسات المتعصبة، ليعيده إلى شكله الحقيقي كما كان في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويمكن تلخيص ما يعتمده أتباع الفرقة القاديانية من مبادئ عامة ومرتكزات أساسية تقوم عليها ديانتهم المزعومة، ومن أشهرها:

1. القول بعدم ختم النبوة وتأويل ما يدل على ختمها.
2. الاعتقاد أن غلام أحمد هو المهدي والنبي المؤيد لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المسيح الموعود به.

3. باب الوحي مفتوح للناس وقد نزل عليه ويسمعه بعض أتباعه.
4. تحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة الأمر من الإنجليز.
5. قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها، والحج إليها مثل الحج إلى مكة فهي ثالث الأماكن المقدسة.
6. تكفير من لا يصدق بالقادياني من المسلمين وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح.
7. تفضيل غلام أحمد القادياني وتفضيل أتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم.
8. ادعاؤهم أن المعنى المقصود من الآيات لا يدركه إلا المسيح القادياني، وإنكارهم أن سنة الرسول أصل في التشريع، وهم يدعون الناس عن طريق أنهم مسلمون مصلحون([7]). قال الشيخ حسن أيوب: "والقاديانية والبهائية أخطر أصحاب المذاهب على الأمم الإسلامية وأشد كفراً من اليهود والنصارى والمجوس، ويبطل دعوتهم ما قدمناه من ثبوت عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وختمها للرسالات، وهم منتشرون في البلاد الإسلامية ويعاونهم الاستعمار بسلطانه الخفي وماله؛ لأنهم أعوانه وأداته في إشاعة الفساد بين المسلمين([8])".

من عقائد الجماعة القاديانية: لقد تخبط القادياني وأتباعه في متاهات عديدة وجاؤوا بأفكار شاذة غريبة، وتناقضوا في أقوالهم وأفعالهم، ومن الأمور التي تظهر في معتقدات زعيمهم القادياني مبادئ كثيرة ننبه إلى أهمها بإيجاز فيما يلي:

1. التناسخ والحلول: يعتقدون بالتناسخ والحلول، وأن الأنبياء تتناسخ أرواحهم وتتقمص روح بعضهم وتظهر في مظهر الجسد الآخر تماماً، وقد قال بهذا ليصل إلى تثبيت بعثته ونبوته. ومن أقواله: "وقد مضى مئات الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمداً وأحمد"([9]).
2. التشبيه: كما أن للقادياني أقوالاً كفرية في وصف الله تعالى؛ فهو يزعم أن الله قال عن نفسه جل وعلا بأنه يصلي ويصوم ويصحو وينام، وأنه يخطئ ويصيب. حيث قال: (بأن الله يصوم ويصلي، وينام ويصحو، ويكتب ويوقع، ويصيب ويخطئ، ويجامع ويولد، ويجزى ويشبه ويجسم) -نعوذ بالله مما قال- ويقول: (قال لي الله: إني أصلي وأصوم وأصحو وأنام)([10]).

([1]) ظهير، إحسان إلهي، القاديانية دراسات وتحليل، باكستان، إدارة ترجمان السنة، 1404هـ – 1984م. ([2]) برلاس: اتحاد قبائل مغولية تركية، وكان أبرز زعمائها تيمورلنك القائد المغولي المعروف. ([3]) ظهير، إحسان إلهي، القاديانية دراسات وتحليل، باكستان، إدارة ترجمان السنة، 1404هـ – 1984م. ([4]) القادياني، محمد علي اللاهوري، حياة محمد ورسالته، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1390هـ. ([5]) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، 2002م، (1/ 265). ([6]) ينظر؛ الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420هـ، (1/ 416). ([7]) أيوب، حسن محمد، تبسيط العقائد الإسلامية، بيروت، دار الندوة الجديدة، ط5، 1403هـ - 1983م، (310)، حوى، سعيد بن محمد ديب بن محمود النعيمي، الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية، مصر، دار السلام، ط2، 1412هـ - 1992م، (1/ 449)، بتصرف. ([8]) أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، (310). ([9]) ميرزا، غلام أحمد القادياني، مرآة كمالات الإسلام، (د. م)، (د. ن)، (د. ط)، (د. ت)، (346). ([10]) ينظر؛ ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، (97).

كيف نصنع طالبَ علمٍ شرعيٍّ واعياً بزمانـــه؟

د. أيمن جويلس
محاضر جامعي - جامعة الخليل

يقوم التكوين العلمي الرشيد لطالب العلم الشرعي على أركانٍ ثلاثة:

1. إتقان علوم الوحي.
2. إدراك مقاصد الشريعة وأسرارها وغاياتها.
3. وعي كافٍ بالواقع، وبصيرة نافذة بالزمان.

هذه الأركان ركائز لتشكيل عقلية طالب العلم الشرعي القادر على النهوض برسالة الشريعة؛ حيث لا يكتمل الاجتهاد إلا باجتماع فقه النص مع فقه التنزيل، وفقه صناعة البصيرة مع فقه صناعة المعرفة، وبناء الملكة الاجتهادية مع جمع المعارف والمتون والتراث؛ لأن الجمع بين كل ذلك يؤهِّل طالب العلم الشرعي لفهم خطاب الوحي في ضوء سنن الله في الإنسان والزمان والمكان، ويعينه على تنزيل أحكام الشريعة على الوقائع تنزيلاً يحقق مراد الشارع في الوجود، وفي تكليف العباد.

ومن هنا كانت صناعة طالب العلم الشرعي فريضةً شرعيةً، وضرورةً وجوديةً حضاريةً؛ لحفظ الدين، واستمرار الدعوة والإصلاح، وتجديد الرسالة في حياة الأمة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 122]، وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل: 125]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4].

وقد حث النبي ﷺ على التفقه في الدين، فجاء في الحديث: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهه في الدِّين». والتفقه في الدين يكون بطلب الفقه الذي يحقق مقصود الشارع من خلال فهم النص، وفهم الواقع المرتبط بمعرفة أحوال الزمان والمكان وظروفه وعاداته وأعرافه؛ حتى يكون العالم وارثاً للنبوة في بيان أحكام الله تعالى وتنزيلها على واقع الحياة.

والحاجة اليوم إلى هذا التكوين الفقهي الرشيد ملحةٌ جداً، خاصة في عصر تتسارع فيه التحولات الاقتصادية والتقنية والاجتماعية والسياسية، وتتولد فيه نوازل متجددة في المعاملات المالية، والعلاقات الدولية، وشؤون الأسرة وغيرها؛ مما يجعل الوعي بالزمان ركيزةً أساسيةً في بناء عقلية العالم وطالب العلم؛ لأنه يحقق التصور الصحيح للواقعة، ويمكّن العالم والمجتهد من تحقيق المناط، والنظر في المآلات، وربط الأحكام بمقاصدها، وهو ما أشار إليه الفقهاء بقولهم: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

ويمثل القرآن الكريم والسنة النبوية التطبيق العملي لهذا المنهج في تكوين العلماء، فقد عرض القرآن نموذجاً بديعاً في قصة يوسف عليه السلام، حين لم يكتفِ بتأويل الرؤيا، بل وضع خطة اقتصادية لإدارة سنوات الرخاء والجدب، فجمع يوسف عليه السلام بين العلم بالوحي، وفقه الواقع، واستشراف المستقبل. كما أبرز القرآن الكريم اعتبار المآلات في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، حيث بُنيت التصرفات على ما ستؤول إليه الأحوال كما في خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار.

ومن شواهد التشريع الإسلامي في الاجتهاد والفتوى مراعاة الزمن والظروف والتدرج في علاجها، كما روت عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار... ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً...»، فكان تمهيد النفوس ببناء الإيمان متقدماً على نزول الأحكام التفصيلية، وهو منهج رباني في مراعاة المرحلة الزمنية واستعداد المجتمع.

وفي السنة النبوية نجد أن النبي ﷺ كان يجيب السائلين بأجوبة مختلفة بحسب اختلاف أحوالهم، كاختلاف إجابته عن أفضل الأعمال، كما ثبت عنه ﷺ النهي عن ادخار لحوم الأضاحي ثم أذن فيه بعد زوال سببه، ونهى عن زيارة القبور ثم أذن بها بعد تثبيت العقيدة، وقال لعائشة رضي الله عنها: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة ولجعلت لها بابين...»؛ مراعاةً لما قد يترتب على ذلك من ضعف نفوس من أسلموا حديثاً.

وقد جسد الصحابة والفقهاء هذا المنهج في اجتهاداتهم؛ فاجتهد عمر بن الخطاب في وقف سهم المؤلفة قلوبهم بعد تغير علته، وأوقف إقامة حد السرقة في عام الرمادة لقيام شبهة الاضطرار، ومنع تقسيم أراضي السواد محافظةً على مصالح الأجيال اللاحقة. وفي دراسة المذاهب الفقهية نجد أن الإمام الشافعي أعاد النظر في عدد من اجتهاداته بعد انتقاله إلى مصر، فظهر مذهبه الجديد؛ إدراكاً منه لاختلاف البيئات والأعراف، وأثرها في تغير أو تجدد الاجتهاد.

والوعي بالواقع يشمل إلى جانب الفتوى جانب تطبيقها ضمن منهج الإصلاح، فقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابنه عندما استعجله في إزالة بعض المظالم: (لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، ثم حرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة).

ولهذا قرر أئمة الفقه والأصول، كالإمام ابن القيم، والإمام أبو إسحاق الشاطبي، والإمام شهاب الدين القرافي، أن كمال الفقيه يتحقق بجمعه بين فقه النص وفقه الواقع، وحذر الإمام القرافي من مناقضة مقاصد الشريعة بالجمود على المنقول مع تغير الأعراف والأحوال.

أما منهجية اكتساب مهارة الوعي بالزمان خلال رحلة تكوين طالب العلم فيجب أن تكون وفق الآتي:

- من خلال منهج علمي متدرج، يبدأ بالرسوخ في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، ومقاصد الشريعة.
- ثم يتوسع بالإحاطة بالعلوم المؤثرة في النوازل؛ كالاقتصاد، والقانون، والاجتماع، والسياسة، والتقنية.
- دراسة الأعراف والأنظمة المعاصرة.
- تنمو هذه الملكة بالممارسة العلمية، من خلال دراسة النوازل، وتحليل الوقائع قبل إصدار الأحكام.
- الاستفادة من الاجتهاد الجماعي، وقرارات المجامع الفقهية.
- ضرورة التواصل مع أهل الخبرة في التخصصات المختلفة؛ حتى يصبح طالب العلم قادراً على الربط بين النصوص الشرعية ومتغيرات الحياة، وربط الجزئيات بمقاصدها، وإصدار الفتوى على بصيرة وحكمة.

وأخيراً فإن الوعي بالزمان ركيزةٌ أصيلةٌ في صناعة العالم الرباني، وبه تكتمل ملكة فقه التنزيل، وتتجلى عالمية الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان. وكلما ازداد طالب العلم إدراكاً لسنن عصره، واتسع فهمه لتحولاته، ازدادت قدرته على إحياء النصوص في واقع الناس، وتحقيق مقاصدها في حياتهم، فتتحول الشريعة من معارف محفوظة إلى هدايةٍ تقود الحياة، ومن أحكامٍ جامدة إلى حضارةٍ تؤثر، ومن علمٍ يُحفظ إلى رسالةٍ تُصلح الإنسان والعمران، وذلك هو المقصد الأسمى من صناعة طالب العلم والعالم الرباني.

بعد الثانويـــــة العامة
مفترق اختيار التخصص الجامعي

د. أنس زاهر المصري
محاضر في جامعة فلسطين التقنية - خضوري

يقف طالب الثانوية العامة على مفترق طرق بمجرد تخرجه واستلامه لشهادة الثانوية، فأمام هذا الخريج اختيار سيُحدد مسار حياته ومسيرة أيامه القادمة.. نعم، إنه اختيار التخصص الجامعي الذي سيُمضي فيه سنواته القليلة القادمة طالباً ومتعلماً في أروقة الجامعة، دارساً للتخصص الذي اختاره وأحبه؛ نعم، هو اختيارك أنت، ومسارك الذي رسمته أنت لنفسك، بقناعةٍ تامة واختيارٍ تام، وبحُب وشغف وحلمٍ تسعى لتحقيقه.

في هذه السنوات المعدودة التي تمضيها في الجامعة، ترسُم خططة حياتك القادمة، والمجال الذي ترى نفسك فيه في الحياة العملية، وتحدد الميدان الذي ترى نفسك قادراً على البذل والتقدم فيه، وترى فيه باباً للرزق ومصدراً للدخل لك ولمن حولك؛ فبعد التخرج تنتظرك متطلبات الحياة وتكاليفها، وها قد بدأت الخطوة الأولى في هذا المسير.

وأمام السؤال الذي يلمع في ذهن كل طالب ثانوية: كيف أختار تخصصي الجامعي؟ هذا السؤال الذي يسأله الطالب، وتبحث العائلة ومعهم الأهل والأصدقاء عن إجابته.

أقترح عليك ثلاثة معايير تُرشدك وتُساعدك في اختيار تخصصك الجامعي:

1.اختر ما تحب: هذا الاختيار سيُحدد تخصصك ومجالك وميدان عملك في السنوات القادمة الممتدة، فاختر التخصص الذي تحبه وترى نفسك قادراً على التميز والإبداع فيه، وكما قالوا: (اتبع شغفك) واختر المسار الذي تحبه أنت، وليس ما يختاره لك المجتمع أو تجد نفسك مجبراً على اختياره لأنك حققت درجة معينة. ليس مطلوباً من كل متفوق أن يدرس الطب أو الهندسة، فقد تجد نفسك في مجال آخر أو تخصص آخر تحبه وتبدع فيه!! كم من متفوق أبدع في دراسة التاريخ أو الشريعة أو الإدارة أو العلوم الإنسانية وأضحى علماً متميزاً في هذا الباب. كما أنه ليس محتوماً على كل صاحب معدل متوسط أو متدنٍ أن يلتحق بمسار البكالوريوس في إحدى التخصصات المتاحة التي يختارها له الضغط المجتمعي من حوله، فكم من طالب التحق بتخصص غير مشهور أو اختار مسار الدبلوم وأبدع فيه وحصّل من العلم والخبرة والمهارة ما مكنه من اقتحام سوق العمل بكل جدارة واقتدار.

2.احتياج سوق العمل وحياتك القادمة: تخصصك الجامعي هو الباب الذي تدلُف منه لسوق العمل وتحدد فيه طبيعة عملك أو وظيفتك، كما أنه الميدان الذي يؤهل الفتاة للقيام بدورها الأساسي، مربيةً للجيل ومعلمة للأبناء، كما يؤهلها للانخراط في سوق العمل إن أحبت ذلك.

وعلى الرغم من إدراك واقع سوق العمل في أيامنا هذه، وقلة فرص العمل والوظائف؛ إلا أن هناك تخصصات لا يزال مجال العمل فيها أكبر والفرص فيها أرحب، خاصة مع التطور المتسارع للتكنولوجيا وفرص العمل التي وفرها هذا التطور أو تلك المجالات التي استحدثها.

3.تكلفة الدراسة والمنح المتاحة: لا يخفى على أحد منا أن مقدار رسوم الدراسة وتكاليفها أحد المحددات في اختيار التخصص الجامعي، فالإنسان كما يقول أهل الاقتصاد: يتحرك بين رغباتٍ لا حدود لها، وإمكاناتٍ وقدراتٍ تضبط سيره وعمله. كما أن توافر المنح الدراسية الجزئية والكلية قد يساعد الطالب في اختيار تخصص معين. فهذا الطالب يعرف ويُقدّر بكل تأكيد أن هناك تكاليف متعددة ومتكاثرة يتحملها الأهل والوالدان، فينبغي أن يكون لهم عوناً وسنداً.

ختاماً؛ احرص على استشارة والديك وأهل الخبرة والثقة ممن حولك فهؤلاء خير معين، وأكثر من يتمنى لك التفوق والنجاح، واجعل صلاة الاستخارة وطلب الخيرة من المولى جل وعلا مرشداً ومعيناً لك في اختيارك ومسار حياتك.

دراسة الشريعة
بين العبادة والمسؤولية

د. موسى الشيخ درة
قاضي الرام الشرعي

لقد خلق الله الخلق وجعلهم مختلفين، متفاوتين في الاهتمامات وفي اللون والعرق والطبائع؛ حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]. وحيث إن طبيعة البشر مختلفة، ومن كمال حكمة الله عز وجل أن جعل الناس متفاوتين في القدرات والاهتمامات، فالاختلاف والتنوع من كمال عدل ورحمة الله سبحانه وتعالى؛ لذا وجب على أمة الإسلام توجيه دراسة التخصصات بحسب حاجة الأمة لها، بحيث يتوفر لديها في كل عصر من العصور وفي كل زمان من الأزمان من يقوم بخدمة مشروعها العظيم الذي قام رسولنا الكريم محمد ﷺ بوضع لبنته الأولى، والله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

مما سبق يتبين أن دراسة العلوم المختلفة هي من فروض الكفايات الذي يجب أن يوجد من أبناء المسلمين من يرفع الإثم عن البقية منهم بملء هذا الشاغر بكفايته.

ولا شك بأن أحد هذه التخصصات هو دراسة الشريعة التي فيها صلاح البلاد والعباد، بل هي أهمها، وأشرفها، وأكرمها على الله، وهي دعوة رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما.

فلا يصح أن يخلو زمان من علماء عاملين يقومون بمهمة تعليم الناس كل الناس بأمور دينهم، وتبصيرهم بدورهم في الحياة التي خُلقوا من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. ومما جاء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» [سنن ابن ماجه: 150/1].

حيث إن أشرف العلوم هي العلوم الشرعية لأنها:

أولاً: ارتباطها بالقرآن الكريم وهو أعظم الكلام؛ كلام الله عز وجل.

ثانياً: وكذلك بحديث رسول الله ﷺ.

ثالثاً: هداية الناس وتبيان طريق الخير لهم لاتباعه، وتحذيرهم من طرق الشيطان واجتنابه.

رابعاً: إقامة الحجة على جميع من يصلهم هذا البلاغ، لأن الله لا يعذب حتى يبعث رسولاً، ولا نبي بعد

محمد ﷺ، فأهل العلم الشرعي يقوم عليهم هذا الشرف.

خامساً: عظم أجر من يقوم مقام الأنبياء من علماء الأمة، قال رسول الله ﷺ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» [متفق عليه].

ولكن وجب التحذير من عدة أمور على من يدرس العلم الشرعي مراعاتها، منها:

- الإخلاص لله تعالى؛ فيجب الحذر من حب الظهور والسمعة.
- سلامة اللغة؛ حيث إن النطق غير السليم يضعف كثيراً من الفائدة المرجوة والمطلوبة.
- حسن الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في مواطنها.
- استخدام بعض الأبيات الشعرية التي لها صلة وثيقة بالموضوع، فهو مما يعين على حسن وصول الفكرة المراد توصيلها.
- كُن أنت بأسلوبك وفهمك واستنباطك ضمن الضوابط الشرعية، ولا تحاول التقليد.
- عدم الإطالة؛ فإن النفس تأباها، واستخدام كلمات جزلة.
- التركيز على فكرة محددة، وعدم تشتيت المستمعين بكثرة الأفكار.
- مراعاة الظرف، والحديث فيما ينفع الناس في حينه.
- عدم تيئيس الناس، وبث روح الأمل والتفاؤل.
- النقد من أجل الإصلاح، وليس من أجل الإحباط.
- مخاطبة الناس باللطف واللين، واستخدام لفظ "نحن" وليس "أنتم".

وأختم بأمر مهم جداً وجب على أهل العلم والعلماء من دارسي العلم الشرعي أن ينتبهوا منه، وهو أن لا نكون أهل العلم الشرعي علماء مواسم ومناسبات موسمية متكررة، بمعنى عدم ترديد دروس معينة في أوقات معينة، بحيث تكون خطبة العيد بلا تغيير، وبنفس الألفاظ، وبنفس الأفكار، وكذلك دروس رمضان، والهجرة النبوية الشريفة، والإسراء والمعراج، وصيام عاشوراء؛ حيث إن كثيراً من المستمعين بمجرد سماعهم لأول كلمة من الخطبة أو الدرس عرف مضمونها فزهد فيها.

وجب على أهل العلم الشرعي عرض دين الإسلام بطريقة مختلفة، بحيث لا يتحجرون وراء متغيرات اعتبروها مسلمات وبنوا عليها أحكامهم، ودين الإسلام أوسع وأكبر وأعظم مما يظن هؤلاء وهؤلاء، وما أجمل ما قاله العالم الأزهري الدكتور محمد الراوي رحمه الله: (من كل قلبي أطالب الأمة الإسلامية أن تخاطب الناس بدينها، أن تخاطبهم بما أنزل الله، تخاطب المتجبرين بما أنزل الله حتى لا يُظلم الدين معهم، لقد ظلموا أنفسهم وظلموا دينهم.

لماذا لا نخاطب الجميع بديننا؟ لماذا لا نخاطب هؤلاء بما قال الله ونسكت عن الكلام بأهوائنا وشهواتنا... ألا نستحق أن تعاتبنا الإنسانية جميعاً بين يدي الله؟ لأننا فرطنا في تبليغ كتاب الله لهم). فيجب عرض سماحة ورحمة ورأفة وجمال وحكمة وقوة ولطف وعدل هذا الدين العظيم بصورة تليق به كما أرادها الله عز وجل وطبقها رسول الله ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم وصولاً إلى ثلة طيبة عرفت معنى دينها من أمثال العالم الرباني محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ الشعراوي، والقرضاوي، والنابلسي، وغيرهم الكثير الكثير.

فهذه مسؤولية عظيمة جليلة تُلقى على عاتق علماء الشريعة بشتى تخصصاتهم؛ لخلق جيل واعٍ بدينه، مرآة حسنة لغيرهم من الأمم، مبشرين غير منفرين؛ فقد بعث الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ رحمة للعالمين بكل ألوانهم وأعراقهم في شتى بقاع الأرض.

طالب الشريعة وسوق العمل
ما بين التحديـــات والفرص

أ. ساجدة برغوثي
بكالوريوس فقه وتشريع

إن تخصص الشريعة ليس مجرد دراسة للأحكام الفقهية، وإنما هو رسالة عظيمة تهدف إلى إعداد طالب يحمل العلم الشرعي، ويسهم في إصلاح المجتمع ونشر القيم الإسلامية. لذا؛ فإن الحديث عن واقع طالب الشريعة في سوق العمل أصبح من الموضوعات المهمة، خاصة في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، وظهور متطلبات جديدة تفرض على الخريج أن يجمع بين التأصيل الشرعي والمهارات العملية والتقنية. لذلك سأتناول في هذا البحث أبرز الفرص المتاحة أمام طالب الشريعة، والتحديات التي تواجهه، وأهمية تطوير مهاراته بما يواكب احتياجات سوق العمل.

يعتقد بعض الناس أن فرص خريج الشريعة تقتصر على الإمامة أو التدريس، إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك، فقد اتسعت مجالات العمل أمامه مع تطور وسائل التعليم والإعلام وازدياد حاجة المجتمع إلى المختصين في العلوم الشرعية. قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105]، وهي دعوة إلى العمل والإتقان، مما يدل على أن المسلم مطالب ببذل جهده وتسخير علمه فيما ينفع الناس. ويُعد مجال التعليم من أهم الفرص المتاحة لخريج الشريعة، سواء في المدارس أو الجامعات أو المعاهد الشرعية أو مراكز تحفيظ القرآن الكريم؛ فالمعلم لا يقتصر دوره على نقل المعلومات، بل يربي الأجيال، ويغرس فيهم القيم والأخلاق، ويصحح المفاهيم الدينية، ويكون قدوة حسنة لطلابه. كما يستطيع خريج الشريعة العمل في المحاكم الشرعية، ودوائر الأوقاف، والإصلاح الأسري، والمؤسسات الخيرية، والبحث العلمي، وتحقيق المخطوطات، والمساهمة في إعداد المناهج والبرامج الشرعية.

ومن أبرز المجالات التي اتسعت في العصر الحديث مجال الدعوة والإعلام الرقمي، إذ لم تعد الدعوة مقتصرة على المساجد أو حلقات العلم، بل أصبحت المنصات الإلكترونية وسيلة مؤثرة للوصول إلى ملايين الناس في مختلف أنحاء العالم. فيستطيع طالب الشريعة أن يقدم دروساً علمية أو مقاطع دعوية عبر منصة اليوتيوب أو غيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، يشرح فيها دين الله سبحانه وتعالى بأسلوب صحيح وميسر، ويجيب عن الأسئلة المنتشرة، ويصحح المفاهيم الخاطئة. كما يمكنه إعداد المقالات، والبودكاست، والبرامج التوعوية، والمشاركة في الحملات الدعوية الميدانية، والأنشطة التثقيفية في المدارس والجامعات، إضافة إلى المشاركة في البعثات الدعوية خارج البلاد للتعريف بالإسلام ونشر قيمه السمحة. ويمكنه أيضاً الإسهام في إعداد ونشر البحوث العلمية والمشاركة في المؤتمرات والندوات، مما يكسبه خبرة علمية وعملية ويفتح أمامه مجالات أوسع لخدمة دينه ومجتمعه. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، كما قال النبي ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية»، وهذا يؤكد أن نشر العلم الشرعي مسؤولية عظيمة، مع مراعاة العلم والحكمة وحسن الأسلوب.

ورغم هذه الفرص، فإن طالب الشريعة يواجه عدداً من التحديات، من أهمها قلة الوظائف في بعض القطاعات، وازدياد أعداد الخريجين، مما يزيد من المنافسة. كما أن كثيراً من المؤسسات أصبحت تبحث عن خريج يمتلك إلى جانب العلم الشرعي مهارات إضافية، مثل استخدام الحاسوب، وإعداد المحتوى الرقمي، وإدارة المشاريع، والتواصل الفعال، والعمل ضمن فريق، والقدرة على الإلقاء والخطابة والبحث العلمي. ومن هنا تبرز أهمية تطوير المهارات التقنية واللغوية؛ فإتقان اللغة الإنجليزية يفتح آفاقاً أوسع أمام طالب الشريعة في البحث العلمي، والاطلاع على الدراسات الحديثة، والتواصل مع المسلمين من غير الناطقين بالعربية، والمشاركة في المؤسسات الدعوية والإغاثية الدولية. كما أن إتقان استخدام التقنيات الحديثة، وبرامج الحاسوب، وأدوات الذكاء الاصطناعي، يساعده على إعداد محتوى علمي متميز، والوصول إلى عدد أكبر من المستفيدين، بما يخدم رسالة الإسلام بأسلوب يناسب متطلبات العصر.

ومن وجهة نظري، فإن طالب الشريعة لا ينبغي أن يكتفي بما يتلقاه داخل قاعات الجامعة، بل يجب أن يستثمر سنوات الدراسة في حضور الدورات التدريبية، والمشاركة في الأعمال التطوعية، واكتساب الخبرات العملية؛ لأن العلم وحده لا يكفي إذا لم يصاحبه تطوير مستمر للمهارات، وقدرة على التعامل مع احتياجات المجتمع ومتغيرات سوق العمل.

وفي الختام، أرى أن مستقبل طالب الشريعة لا يعتمد على الشهادة الجامعية وحدها، وإنما على مدى اجتهاده في الجمع بين التأصيل الشرعي، والمهارات التقنية، والقدرة على التواصل مع الناس بالحكمة والموعظة الحسنة. فكلما طور الطالب نفسه علمياً وعملياً، ازدادت فرصه في خدمة دينه ومجتمعه، وإثبات أن خريج الشريعة قادر على الإبداع والعطاء في مجالات متعددة، وأن رسالته لا تنتهي بالتخرج، بل تبدأ منه.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا

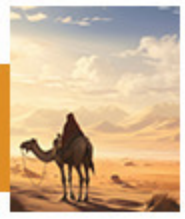

د. سارة النتشة
داعية وتربوية

إنّ من أكثر الآيات التي تستوقف المتأمل في قصة أم موسى قول الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾؛ فكثيرًا ما نقرأ هذه الآية ضمن أحداث القصة، ثم ننتقل إلى ما بعدها دون أن نتوقف عند هذا الوصف العجيب، مع أنه يكشف عن واحدةٍ من أعمق الصور النفسية في القرآن الكريم. فقد كانت أم موسى عليه السلام تعيش ظرفًا استثنائياً؛ فرعون يقتل أطفال بني إسرائيل، وولدها الرضيع مهدد بالموت في أي لحظة، ثم يأتيها الأمر الإلهي بما يبدو في ظاهره أشد من الخطر نفسه بأن تلقي رضيعها في اليم، فيا لها من لحظات عصيبة!

لو نظرنا إلى هذا المشهد بعين الأم، لأدركنا أنّ ما حدث ليس مجرد تنفيذ لأمر إلهيّ، بل صراع نفسي هائل بين غريزة الأمومة التي تدفعها إلى احتضان طفلها وحمايته، وبين يقينها بوعد الله وحسن ظنها به سبحانه؛ فبداخلها تلاطمٌ لأمواج من المشاعر وبحرٌ مضطرب من الأفكار، وتعايشٌ لمتضادات كثيرة بين الخوف والحزن والقلق والثقة والأمل واليقين بالله، وأمامها يمٌّ ينتظر قوّة إيمانٍ تدفعها لتلقي ابنها فيه!

واللافت والجميلُ أنّ القرآن الكريم لم يُنكر على أم موسى التصرف بطبيعتها البشرية، ولم يصورها بصورة امرأة منزّهة عن المشاعر الإنسانية، بل طبطب عليها وراعى موقفها وخوفها على رضيعها أولًا بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾، فأقرّ بأنّ الخوف أمر طبيعي -وهذا أول العلاج في الطمأنة أن تُقِرّ بمشاعر من أمامك-، وعرضها بصورة أمٍّ تعيش أقصى درجات القلق والاضطراب والخوف على ولدها، تلاه وصف دقيق لحال الفراغ في قلبها بعد تنفيذ أمر الله بإلقاء رضيعها في اليمّ بقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾. فما معنى أن يكونَ الفؤادُ فارغًا؟

ذكر المفسّرون أنّ فؤادها أصبح خاليًا من كل شيءٍ إلا التفكير في موسى، ففرغ من كل خاطر إلا همّ ولدها، وبعضهم قال إنه فرَغَ من الصّبر لشدة الخوف، وهذه الأقوال ترسم صورة واحدة، صورة الأم التي استولى القلق على مشاعرها حتى أصبح كلُّ كيانها ينادي على طفلها ويريد استرداده إلى حضنها، وهذا الوصف الدقيـــق ينسجم مع حالات يعرفها علم النفس اليوم؛ فحين يواجه الإنسان خطرًا شديدًا يتعلق بمن يحب، يتركز انتباهه كله على مصدر الخطر، حتى تكاد بقية اهتماماته تتلاشى مؤقتًا، وهذا ما يصوره القرآن بكلمة واحدة: (فارغًا).

ثم تأتي تتمة الآية لتؤكد شدة هذا الاضطراب: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾؛ فمشاعر أم موسى عليه السلام بلغت ذروتها خوفًا وقلقًا حتى كادت تكشف أمر وليدها وتتصرف بما يعرضه للخطر؛ لكن القصة لا تقف عند وصف الخوف والقلق، بل تُبيّن كيف تعامل القرآن معهما؛ حيث انتقلت الآية تدريجيًا من حالة الانفعال البشري إلى حالة السكون الإيماني والثبات النفسي، وختم المشهد بالتثبيت الإلهي بقوله : ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، فالإيمان لم يمنع حدوث الخوف، ولم يلغِ مشاعر الأمومة الفطرية، وإنما منحها القوة حتى لا تتحول هذه المشاعر إلى انهيار، فالقلق ليس دائمًا اضطرابًا، وقد يكون استجابة طبيعية لموقف شديد الصعوبة، لكن الذي يصنع الفرق هو ما يحدث بعد ذلك: هل يستسلم الإنسان للقلق حتى ينهار، أم يستند إلى يقينه بالله فيستعيد توازنه؟

وهذه نقطة مهمة كثيرًا ما يغفل عنها الناس؛ فالقرآن لا يُقدّم الإيمان على أنه إقصاءٌ للمشاعر الإنسانية الطبيعية، بل يقدّمه بوصفه قوة منظّمة للانفعال تعيدُ توجيه المشاعر داخل إطار من اليقين والاعتماد على الله، وقد جاء التصوير القرآنيُّ لهذه التجربة في غاية الدقة النفسية؛ حيث بدأ المشهد بالخوف والترقب، ثم انتقل إلى الإلهام الإلهي الذي يعيد ضبط الانفعال، ولحظة التسليم والتفويض بإلقاء الرضيع في اليمّ بما تحمله من توتر نفسيٍّ بالغ، ثم إلى الاضطراب الداخلي الذي كاد يفضح الأمر، وأخيرًا التثبيت الإلهي والرّبط على القلب، قال: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: 10]، ليكتمل بناء الطمأنينة بعدئذ بتحقق الوعد الإلهي، وتكون عودة موسى عليه السلام قرة عين لأمه، وشفاءً لحزنها وقلقها، ويقينًا محققًا بوعد ربّها بقوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: 13].

لن يشتري منا البقية

الأستاذ الدكتور الشاعر
رائد عبد الرحيم

لا لا أخٌ لكَ يا أخـي .. لا لا أُخيّـــــــــــــــــهْ
قدْ كنـــتَ وحدَكَ في الوغى .. وَسْطَ المنيّـــــــــــهْ
ودعوتهمْ حين انكســرتْ .. تـــــــــــــــردّدوا
بلعوا التّحيّـــــهْ .. تركوكَ وحدَكَ نازفـــــــــــــاً
نَزْفَ الضّحيّـــــهْ .. باعوكَ في سوقِ النّخاسةِ جُملـــــــةً
قتلوا الحَميّـــــهْ.. منْ باعَ غـــــــــــــــزّةً أوّلاً
لنْ يَشتريْ مِنّا البقيّهْ! .. والغربُ ينفثُ في الدّيار سُمومَه
يتناوبـــــون على النّعاجِ بنابِهِمْ .. تلكَ القَصِيّـــــــــهْ
يَتَقاسمـــونَ ترابَها وسماءَها .. وهواءَهـــــــــــــا
يتنافســـون لجعلنا .. نحنُ المطيّـــــــــــــــهْ
هل كان يقبلُ خالـــدُ .. هذي الدنيّـــــــــــــــهْ؟
أو كانَ يغفرُ حمـــزةٌ .. ظلمَ البريّـــــــــــــــهْ؟
أو كان ينســى طارقٌ.. هذي الرّعيّـــــــــــــــهْ؟
أزْمانُ عـــزٍّ غادرتْ .. يا ليتنا صُنّا الوصيّـــــــــــهْ
تركوكَ وحـــدَك يا أخي .. لحماً طريّـــــــــــــــا
من باعَ غـــزّةَ أولاً .. لن يشتريْ منّا البقيّـــــــــــهْ!